

دوافع اطماع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة

في القرن الرابع الهجري

الدكتور عبد الجبار ناجي

نبذة عن طابع البصرة السياسي

اتخذت الجيوش العربية ، المشاركة في الفتوحات الكبرى للعراق وبلاد فارس ، الكوفة والبصرة مصرين على طرف الصحراء وذلك في فترتين زمنيتين متقاربتين من القرن السابع الميلادي ، كى تكونا مخيمات عسكرية لهم وعوائلهم ، ومستودعات بشرية من اجل امداد الجيوش المتوغلة فى بلاد فارس من الشمال والجنوب . وبالإضافة الى تلك المهمات فاز هذين المخيمين كاتنا على اتصال مباشر بالمدينة -عاصمة الدولة العربية - حيث تسهل عملية الامدادات العسكرية . وفوق هذا وذاك فأنهم كاتنا الى حد ما على مقربة من مشارب المياه المتمثلة بنهر دجلة العوراء - شط العرب فيما بعد - الى الشرق من البصرة ، ونهر الفرات الى الشرق من الكوفة .

والباحث في التاريخ السياسي لكل من هاتين المدينتين العسكريتين يجد فرقا ملحوظا في الدور الذي لعبته كل منهما سواء كان ذلك

الدور متعلقا بالاحداث السياسية التى شهدتها التاريخ الاسلامى فـ
قرؤنه الاولى والثانية والثالثة بعد الهجرة او حتى فى الاسهام
والمشاركة الفعلية لاهلهما فى مثل تلك الاحداث . فالكوفة ، كما
هو معروف، وصفت من قبل الكتاب بانها المدينة الثائرة ، فى
الوقت الذى اكسبت البصرة صفة المسالمة وانها عثمانية(١)
الاتجاه . وليس غريبا او نقول ان الكوفة انتجت عددا كبيرا من
الثورات والحركات ذات مضامين سياسية واجتماعية ودينية بلغت
بشامى عشرة حركة خلال الفترة الاموية(٢) فقط (٤١هـ - ١٣٢هـ) .
وبقيت الكوفة تربة صالحة للثورات العلوية والزيدية المتكررة
والمتعددة خلال العصور العباسية الاولى والمتأخرة ايضا . وقد
شكل بعض هذه الحركات السياسية خطرا جسيما ليس على الحالة
السياسية فى العراق فحسب بل بصورة رئيسية على الشلطة المركزية
التمثلة بالبيت الاموى والبيت العباسى ، فتورة المختار بن ابى عبيد
الثقفى (٦٦-٦٨هـ) وثورة زيد بن على بن الحسين (١٢٢ هـ)
وثورة ابو السرايا زمن الخليفة المأمون (١٩٩ هـ) وثورة يحيى بن
عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد (٢٤٩هـ) تعد من الثورات التى
هزت كيان الدولة الاموية والعباسية واقضت مضاجع الخلفاء .
وبينما قامت الكوفة بمثل هذا الدور السياسى الثائر كان تاريخ
البصرة السياسى بصورة عامة هادئا ما خلا بعض الحركات
الصغيرة والمنعزلة والتى انتهت بسرعة دون ان تترك اثارا خطيرة .
ومن الجدير ذكره أنه حتى فى هذه الحركات السياسية المنعزلة
لم يشارك اهل البصرة مشاركة قوية وطويلة الأمد .
ومن الممكن القول ان جميع الاحداث السياسية التى وقعت فى

البصرة منذ تأسيسها لم تكن أحداثاً نهيات في البصرة وانطلقت منها بل أنها
اتهاماً من الخارج فيما عدا الحركة التي أثارها عبدالله بن ابي الجارود
سنة ٧٥هـ/٦٩٤م على الوالي الاموي القوي الحجاج بن يوسف الثقفي،
فقد كانت حركة داخلية . ولكنها كانت قصير الامد جدا اذ
انتهت على اثر مقتل ابن الجارود^(٤) نفسه . ومن اجل توضيح هذه
الفكرة نرى من الافضل ان نأتي على تلك الاحداث وبصورة سريعة
ومقتضية . ففي الفترة التي كان فيها مصعب واليا على البصرة نيابة
عن اخيه عبدالله بن الزبير ثار الزنج ، ولما كان مصعب منشغلا انشذ
بقضايا سياسية عديدة فقد اتسع المجال أمام تلك الحركة ان تشتد
وتتموء ، غير ان الوالي الذي خلف مصعبا حارب الزنج واسر
عددا منهم ثم قتلهم^(٥) . والظاهر ان نجاح ذلك الوالي لم يكن تاما
اذ ان الزنج اهتبلوا فرصة انشغال الحجاج الثقفي في حربه ضد
ابن الجارود فاعلنوا ثورتهم ونصبوا عليهم زعيما اتخذ لقب
شير زنجي^(٦) (اسد الزنج) . ولقد قويت شوكة الزنج هذه المرة
وشكلوا خطرا كبيرا على الحجاج وولايته ، غير ان الاخير بعد ان
نفرغ من حركة ابن الجارود التفت الى الزنج وحاربهم وانتصر
عليهم وقتل زعيمهم^(٧) فانهى امر الثورة .

هذا ما حدث في البصرة طيلة الفترة الاموية من احداث سياسية
ولعله من المناسب ايضا ان نضيف ما قام به الخوارج الازارقة^(٨) من
هجمات على المدينة وآثاره المتاعب على اهلها الى ما سبق ذكره . أما
في العصر العباسي الاول فانه لم يحدث امر نواهيمة كبيرة خلا
الحركة التي أثارها ابراهيم بن عبدالله (اخو محمد فوالنفس الزكية)

على الخليفة العباسي المنصور سنة ١٤٥/٢٦٢م، ولكن هذه الحركة
ايضا لم تثن طويلا وانتهت بمقتل^(١) ابراهيم بن عبدالله في السنة
ذاتها. ان الحركة السياسية المهمة التي اندلعت في منطقة
البصرة في المصور العباسية المتأخرة والمتنلة بثورة الزنج تعد من
الثورات الكبيرة التي شهدتها التاريخ العربي الاسلامي. فكانت حقا
ثورة اقضت مضاجع الخليفة العباسي ودوخت جيوش السلطة العباسية
مدة طويلة تقارب الخمس عشرة سنة، اذ امتدت من سنة ٢٥٥/
٨٦٨ وحتى مقتل زعيمها في سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م^(٢). والذي ينسب
الاشارة اليه هنا انه حتى في هذه الثورة لم تنطرك البصرة واهاليها
مشاركة فعلية، وان قائد الزنج على بن محمد، كما هو معروف
لم يكن بصريا وهذا ينطبق ايضا بالنسبة الى جموع مؤيديه من
الزنج. والمتصفح لتاريخ الامم والملوك^(٣) للطبري سوف لا يجد
كثيرا من المعلومات التي تشير الى ان اهل البصرة وقفوا موقفا مويدا
وايجابيا من الثورة بل سجد العكس وان معظم اهل المدينة كانوا
يمتلكون اراض وعبيدا ولذلك فانهم قاوموا الثورة منذ بدايتها
وحاربوا الثوار.

وعلى الرغم من عدم مشابهة البصرة لمدينة الكوفة في المجال
الذي وقفنا عليه بشيء من التفصيل في الصفحات السابقة، فان
البصرة، على العكس من الكوفة، قد تعرضت الى عديد من التدخلات
والهجمات والمحاولات من قبل الطامعين من حكام وأمرأ المناطق
المجاورة لها من اجل السيطرة عليها وضمها الى أملاكهم ومناطق
نفوذهم. وربما لم يكن هذا واضحا خلال الفترات التي تكلمنا
عنها سابقا، الا أنه يبرز بوضوح خلال المصور العباسية

التأخرة . ففيها أصبحت البصرة هدفا لحملات متعددة أعدت من قبل قوى خارجية من امثال البريدن^(١٢) ، وأمرأ البطائح^(١٣) ، وحكام الاهواز ، وحكام عمان ، ثم من قبل قرامطة البحرين موضوع بحثنا . لم يكن الهدف من وراء كتابة هذه الصفحات التطرق الى الدوافع التي دفعت تلك القوى المختلفة المجاورة للبصرة والطامعة في الاستحواذ عليها فان لهذه الموضوعات مجالات اخرى في المستقبل . ومع هذا فانه مما يجدر التأكيد عليه هو ان ظهور اطماع هذه القوى وتبلورها في هذه الفترة - واعنى الفترة الاولى من العصور العباسية المتأخرة . يعزى الى عدة عوامل واسباب سنحاول التعرف عليها فيما بعد .

لقد احدث وجود القرامطة السياسى فى البحرين وتهديداتهم بل وهجماتهم المتوالية خطرا جسيما لا على البصرة وحدها بل وكذلك على السلطة العباسية فى العراق بصورة عامة . ولكن مدينة البصرة كانت من اسوا المدن والمراكز الاخرى من المنطقة الجنوبية للعراق حظا ، اذ شن قرامطة البحرين عليها هجمات عديدة رافقتها أعمال مروعة من التخريب والعنف ضد أهل المدينة ، وقد اضيفت هذه الهجمات ونتائجها الى ما خلفته الضربات القاسية التى وجهها الزنج قبلهم الى المدينة واهلها .

ترجع تسمية القرامطة ، كما اشارت الروايات التاريخية الى كلمة قرمط والتي يقال انها كانت لقب الداعى الاسماعيلى حمدان^(١٤) قرمط . ويبدو ان الكلمة اطلقت عليهم من قبل اعدائهم وهم يسمون أنفسهم «المؤمنون المنصورون بالله والناصرون لدينه والمصلحون بالارض»^(١٥) . والى حمدان قرمط هذا يعود الفضل فى تأسيس فرقة قرامطة العراق ، وقد ركز ، فى بث دعوته على المناطق الزراعية من

اواسط العراق وجنوبه وحصل على نجاح واسع بين الفلاحين الذين
سحقتهم الضرائب الثقيلة الملقاة على عاتقهم وارهقتهم المعاملة السيئة
التي كان يتبعها عمال الدولة وموظفوها في جمع تلك الضرائب وجشعهم .
فكان هؤلاء - لهذه الاسباب وغيرها - يعلقون امالا كبيرا على الدعوات
الاصلاحية ، ويؤيدون بسهولة اى رعيم يرفع شعار تحسين احوالهم
وانقاذهم من الابطاع السيئة التي يعيشونها . ويالفعل فقد نجح
حمدان قرمط نجاحا واسعا في تطبيق بعض المبادئ الاشتراكية فى
مجتمعه الصغير . ان اهم مايغنيا في هذا الصدد هو ان حمدان قرمط
لم يكف بنشر الدعوة الاسماعيليه فى العراق فقط ولكنه اتخذ دعاة
متعددين فى بعض المناطق الاخرى المجاورة ، ومن بين هؤلاء الدعاة
كان ابو سعيد الجنبى .

يرجع ابو سعيد الجنبى الى جنابه الواقعة على الساحل الشرقى
من الخليج العربى وأن هناك رواية أدلى بها الصولى^(١٦)
مقادها ان الجنبى كان من اهالى البصرة غير ان المصادر الاخرى
لا تسند رواية الصولى هذه . عين الجنبى فى بداية الامر داعيا
لحمدان قرمط على منطقة فى جنوب ايران ، ولكن امره انكشف
هناك وطاردته السلطة . وبعدئذ استدعاه حمدان الى مقره الذى
يقع بالقرب من بغداد فى موضع يدعى كلواذى حيث امره بالذهاب
الى البحرين وازوده بجميع المعلومات عن احوال البحرين الاجتماعية
كما زوده بالاموال اللازمة للدعوة . كان معظم اهل البحرين قبائل
عربية تشتغل بالرعى وامتنع قسم منها الزراعة بالاضافة الى
اشتغال بعض العناصر العربية وغير العربية بالتجارة . والظاهر ان
البحرين كانت تربة ملائمة لنشر المبادئ المعادية للسلطة المركزية
فى العراق . فقبل ربع قرن تقريبا نجح صاحب^(١٧) الزنج على بن

محمد في التبشير بدعوته فيها قبل ان يتحول عنها الى البصرة •
وعند وصول ابي سعيد الجنبى الى البحرين بتبشيريه بالدعوة
الاسماعيلية حقق نجاحا هائلا أيضا •

ومن الجدير ذكره ان هذه المعلومات ماهى الا نبذة مختصرة
عن تاريخ الحركة القرمطية في البحرين ولم يكن هدفنا الخوض
فى تفاصيل هذه الحركة ومبادئها الاشتراكية وتنظيماتها السياسية
وعلاقتها مع الحركة الفاطمية فى شمال أفريقيا ومصر او مع الحركة
القرمطية فى بلاد الشام وانما علاقة القرامطة بالبصرة • ولعل من
المفيد القول ان مثل تلك المواضيع قد بحثت بدرجة من التفصيل
والدقة من قبل عدد من المؤلفين العرب والاجانب امثال دى غويه^(١٨)،
وايفانوف^(١٩)، وبرنارد لويس^(٢٠) وبندى جوزى^(٢١) وولفسر
مادلنج^(٢٢)، وشتين^(٢٣)، والدكتور الدورى^(٢٤) وغيرهم •

القرامطة والبصرة : يقف المؤلف المشهور محمد بن جرير
الطبرى (ت ٣١٠/٩٢٢) على رأس قائمة المصادر التى اعتمدناها
والتي قدمت المعلومات المتعلقة بمحاولات القرامطة فى السيطرة على
البصرة • واهميته تكمن فى معاصرة مؤلفة لفترة ظهور القرامطة
والمصادر التى اعتمدها فى كتابة تلك الروايات • وآلى جانب هذا
المؤلف المشهور هناك عدد اخر من المؤرخين المسلمين الذين قاربوا
فترة القرامطة و اشاروا الى جوانب مهمة ذات صلة وثيقة بموضوعنا •
فيذكر ابن النديم ان ابا بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٣٥هـ)
قد ألف كتابا عنوانه القرامطة^(٢٥)، ومن المؤسف حقا ضياع هذا
الكتاب اذ انه بدون شك كان يحتوى على مادة ثمينة ومعاصرة •

وهناك ابو الحسن المسعودى (ت ٣٤٥ أو ٣٤٦هـ)، وقد وردت فى كتابيه «مروج الذهب ومعلون الجوهر» والتبتيه والاشراف (٢٦) اشارات قليلة ولكنها ذات اهمية خاصة . واهميه معلوماته ترجع الى أن ابا الحسن المسعودى قد اخذ بعضها من القرامطة انفسهم، وللأسف ايضا ان اغلب المعلومات التى اوردها عن القرامطة موجودة فى كتابيه القيمين اللذين مازالا مفقودين وهم « اخبار الزمسان» و «الكتاب الاوسط» . و ابو الحسن ثابت بن سنان (ت ٣٦٥/٩٧٥) يعد ايضا من المؤرخين المشهورين ، وقد كتب كتابا - غير انه ضائع - فى التاريخ ابتداء من سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧ واستمر به الى ٣٦٠/٩٧٠ . ولهذا المؤرخ كتاب يدعى (اخبار القرامطة (٢٧)) ومنه استقينا بعض المعلومات المتعلقة بهجمات قرامطة البحرين على البصرة ، وعلى اية حال فان الكتاب يحد ذاته صغير لا يفي بالغرض . وان هناك معلومات اقتبسها عدد من المؤرخين المتأخرين من «تاريخ ثابت ابن سنان واخبار القرامطة موجودة ايضا فى كتاب مسكويه (ت ٤٢١/١٠٣٠) الموسوم بـ «تجارب الامم» (٢٨)، وكذلك كتابه سبط ابن الجوزى (ت ٦٥٤/١٢٥٦) الموسوم بـ «مرآة الزمان» (٢٩)، فى القسم الذى مازال مخطوطا فى اسطنبول . وفى الكتاب الاخير مادة واسعة ومفصلة اكثر مما هو موجود فى النسخة المطبوعة فى حيدرآباد ويشير المؤلف فى هذا المخطوط الى المصادر التى اعتمدها ونقل عنها حرفيا ومن بينها تاريخ ثابت بن سنان . ثم لابد ان نذكر المؤرخ عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٩/٩٧٩) فى كتابه «صلة تاريخ الطبرى» . ومن المحتمل ان يكون عريب قد زار البصرة واستقى معلوماته عن هجوم القرامطة على المدينة من البصريين انفسهم (٣٠) . واخيرا وليس اخرا هناك معلومات عن موضوعنا عند ابن الاثير

(ت ١٢٣٢/٦٣٠) فى كتابه «الكامل فى التاريخ» والذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤١) فى مخطوطته «التاريخ الكبير» (٣١)، والمقرئزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١) فى كتابه «تعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء».

مر مخطط ابى سعيد الجنبابى - زعيم قرامطة البحرين-السياسى التوسعى فى مراحل متعددة كانت اولها قد ابتدأت بعد وصوله الى البحرين فى حوالى سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م اذ قام بنشر دعوته بصورة بارعة ونجح فى جمع عدد غير قليل من الانصار والمؤيدين . ثم اعقب خطوته هذه بوضع الاسس الكفيلة لتامين سلامة انتصار ونجاح دعوته وذلك عن طريق القيام بتوسعات سياسية فى داخل منطقة البحرين اولا . فافلح مثلا فى ضم كل من اليمامة (٣٢) ، وقطيف (٣٣) ، وهجر (٣٤) ، وجزيرة اوال (٣٥) . ولقد شجعت هذه الانتصارات الداخلية ابا سعيد ان يتبها لتحقيق المرحلة الاخرى من ذلك المخطط الا وهو التوسع الخارجى وتوجهت انظاره بادىء بدء الى المنطقة المجاورة لمناطق نفوذه المتمثلة بالبصرة وبادية البصرة ثم بادية الكوفة والطريق البرى الذى يربط البصرة بالكوفة من جهة ثم الطريق البرى المهم الذى يربط البصرة بمكة من جهة ثانية . والى جانب هذه المراكز المهمة فان مناطق اخرى تقع على الساحل الغربى من الخليج العربى كعمان وعلى الساحل الشرقى منه مثل سيراى جلبت انظاره ايضا .

بعد مدة قصيرة جدا من استقرار سيطرته على البحرين ، عزم ابو سعيد الجنبابى على مهاجمة مدينة البصرة . فيحدثنا المؤرخ الطبرى وكذلك ثابت بن سنان (٣٦) أنه فى سنة ٢٨٦ هـ وبعد ان استولى ابو سعيد الجنبابى على القطيف ، التى تبعد بضعة مراحل عن البصرة ، وصلت الاشاعات

الى اهالى المدينة بانه قادم اليها . فكان ان اضطرب اهالى البصرة واميرها من احتمال هجوم مفاجيء يقوم به القرامطة . ولم يتجاهل الامير آنذاك احمد بن يحيى بن محمد الوائقى ، والى معاون البصرة وكور دجلة (اى المشرف على الشؤون الحربية للمدينة) ، خطر القرامطة فاسرع بالاتصال بالسلطة المركزية يخبرها بنوايا الجنابى طالبا الاسراع بارسال مساعدة عسكرية لصد هذا الهجوم . وفعلا فقد اتخذ الخليفة المعتضد بالله خطوات حاسمة تدل بوضوح على مدى اهتمامه بالامر . فهو اولاً امر امير البصرة الوائقى ومتولى اعمال الصدقات والخراج والضياع فى المدينة ان يشيد سوراً يحمى المدينة من هجمات القرامطة . وبهذه المناسبة فان المؤرخين السابقين يذكرون ان الوالى لبي طلب الخليفة فى تشييد سور كبير للبصرة بلغت نفقة بنائه حوالى (١٤) ألف دينار^(٣٧) . ولم يكتف الخليفة المعتضد بهذه الخطوة بل ارسل ثمانى سميريات (نوع من قوارب الحرب) عليها ٣٠٠ محارباً الى البصرة ، ثم انه امر والى بلاد فارس المسمى العباس بن عمرو الغنوى ان يسير بجيشه الى البصرة لتلافى الوضع هناك ومحاربة القرامطة . وبعد وصول الغنوى الى البصرة اخذ يعد العدة ويجمع المحاربين حتى ، يقول الطبرى فانابت بن سنان انه استطاع ان يجمع عدداً كبيراً من مطوعة البصرة والجند والخدم وسار فى ربيع الاخر سنة ٢٨٧ هـ لقتال الجنابى . وبعد هذا اول لقاء مسلح يحدث بين جيش السلطة المركزية وقرامطة البحرين . ولكن نتيجة هذه المعركة لم تكن فى صالح الجيش العباسى اذ اندحر فيها العباس وجيشه بعد قتال عنيف ، ولم ينبج العباس نفسه حيث اخذ اسيراً مع عدد كبير من الجند والمحاربين ولاقوا حتفهم على ايدى القرامطة . ويحدثنا الطبرى ان اهالى البصرة هرعوا مسرعين لنجدة من

حاله الحظ ونجا من سيوف القرامطة وبرفتهم مايقارب ٤٠٠ راحلة
 عليها الطعام والكسوة والماء . غير أن هذه الامدادات لم تصل الى
 المحاربين وذلك لخروج الاعراب عليهم وهم في الطريق فسلبوا ماكان
 عندهم من امتعة وعتاد . ويعلق الطبرى على هذه النكبة الكبيرة بأن
 اهالى البصرة حينما سمعوا نبأ الهزيمة اضطربوا اضطرابا شديدا
 وعزموا على ترك المدينة والانتقال عنها لولا الجهود التى بذلها المشرف
 على الشؤون الحربية - الوائقى - الذى اقنعهم بالعدول عن رايهم^(٣٨) .
 كان انتصار القرامطة السابق على البصريين بداية لحملاتهم المتكررة
 الهادفة الى السيطرة على المدينة ، فيقال ان اباسعيد أعاد الكرة ثانية فى
 سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م وذلك بقيامه بمناورة عسكرية بالقرب من البصرة
 الامر الذى أدى الى خوف الاهالى وفزعهم^(٣٩) . ويبدو ان الهدف من
 وراء هذه المناورات معرفة ردود الفعل من جانب السلطة المركزية ، ولما
 نيقن القرامطة ان تلك الردود لم تكن فعالة وحاسمة نراهم يجهزون
 حملة اخرى لدخول البصرة . وبناء على زاوية مسكوية وابن الاثير^(٤٠)
 ان الحملة حدثت سنة ٢٩٩هـ فى حين ذكر عريب القرطبي^(٤١) انها
 كانت فى سنة ٣٠٠هـ . ولقد اختلف هؤلاء المؤرخون فى تبيان تفاصيل
 هذا الهجوم ، الا انه بناء على قول عريب القرطبي يتلخص فى أن
 القرامطة افلحوا فى دخول المدينة فعاتوا بها فنهبوا اسواقها
 وحينما علم والى البصرة انشد^(٤٢) محمد بن اسحاق بن كنداجيق^(٤٣) بالخبر
 ارسل جنده لمطاردة القرامطة وقد استطاع هؤلاء السيطرة على القرامطة
 واخراجهم من المدينة . ثم ان ابن كنداجيق حاول اللحاق بهم بنفسه
 الا انه تراجع لحصوله على معلومات بان للقرامطة جيشا كبيرا مستعدا
 للمسير نحو البصرة . لهذا اسرع بالاتصال بالسلطة فى بغداد طالبا
 المساعدة والامدادات ، وفعلا فان الوزير ابن الفرات جهز جيشا قويا

وأرسله الى البصرة .

استمرت الامور على هذا المنوال حتى سنة ٣٠٧هـ / ٩١٩ . وفى هذه السنة يروى ابن الجوزى^(٤٢) ومبطله رواية مفادها ان القرامطة دخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا اهلها وسبوهم . ثم لم تمض فترة طويلة على اعتدائهم هذا حتى تعرضت البصرة الى اغنف هجوم قام به القرامطة حتى هذا الوقت ، وذلك فى سنة ٣١١هـ / ٩٢٣ . ان اغلب المؤرخين^(٤٣) الذين تحدثوا عن حوادث هذه السنة يشيرون الى هجوم القرامطة على البصرة والمصائب التى واجهها اهلها خلال فترة احتلالهم لها . ولقد اختلفوا فى ذكر عدد القرامطة المهاجمين فمنهم مثل ثابت بن سنان يجعل عددهم حوالى ٢٧٠٠^(٤٤) رجل ، بينما تقدم المسعودى عددا اقل من ذلك فيجعلهم حوالى ٤٠٠ فارس و ٥٠٠ رجل^(٤٥) . وتتفق جميع الروايات على ان ابواب سور البصرة كانت فى وقت الهجوم مغلقة ، غير ان القرامطة كانوا يحملون معهم السلالم وبذلك استطاعوا الصعود على السور وفتح ابوابه . بعدئذ وقع صدام مسلح بين الاهالى وجند المدينة من جهة والقرامطة من جهة ثانية فى شارع المربد . وكان النصر الى جانب القرامطة حتى ان زالى المدينة المسمى سبك المفلحى وقع قتيلا . وازلت البصرة مدة تناهز ١٧-١٨ يوما خاضعة لسيطرة القرامطة ، شهد اهلها خلال تلك الايام ظروفًا قاسية جدا من القتل والنهب والاسر ، ولم تنج المدينة نفسها من غضب القرامطة الذين ضربوا اسواقها ونهبوها واحرقوا محلة المربد ودمروا جزءا من الجنابى لم يمكن طويلا وقرر مغادرة البصرة مع جماعته محملين بالمغانم والأسرى الذين أسروهم خلال مدة احتلالهم للمدينة . ويبدو ان أبا طاهر ارتأى التخلّى عن المدينة حينما وصلته معلومات تفيد بان السلطة

المركزية في بغداد عازمة على إرسال جيش لمحاربته .
وبعد هذا الهجوم وحتى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢ شهدت البصرة فترة ساد
فيها الامان اذ لم يقم القرامطة بأية محاولة أخرى لمهاجمة المدينه . وربما
يرجع السبب الى ان البصرة في خلال تلك الفترة كانت تخضع لسيطرة
البريديين الذين كانوا على اتفاق ووثام مع قرامطة البحرين ، ومن
المحتمل ايضا ان ذلك يرجع الى انشغال القرامطة في الهيمنة على
مشاكلهم السياسية الداخلية التي ظهرت في اعقاب موت ابي طاهر .
منذ سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥ اصبح العراق خاضعا لسيطرة قوة اجنبية
هم البويهيون . وعلى الرغم من ان البويهيين كانوا شيعة فأنهم لم يكونوا
على علاقة طيبة مع القرامطة . وأن قرامطة البحرين كانوا يتحينون
الفرص لمهاجمة املاك البويهيين ، لاسيما وان معز الدولة (اول امير
بويهى يحكم العراق بعد الغزو البويهى) قد اعتدى في سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧
على مناطق نفوذ القرامطة حينما سار بجيوشه عبر بادية الكوفة والبصرة
من اجل القضاء على البريديين في البصرة . ولقد جاءت ثمرة انتصارهم
في سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢ ، فبناء على ما اوردته كل من مسكويه وابن الاثير (٤٦)
أن القرامطة في تلك السنة تحالفوا مع حاكم عمان ، يوسف بن وجيه ،
على تجهيز حملة عسكرية مشتركة ضد البصرة في الوقت الذى كان
فيه معز الدولة منشغلا في محاربة ثائر اخر هو عمران بن شاهين امير
البطائح . وعلى هذا الاساس فان البصرة اصبحت عرضة لخطر الهجوم
من جهتين ، الجهة البرية وكانت تحت قيادة القرامطة والجهة البحرية
عبر الخليج العربى تحت قيادة اسطول صاحب عمان . ومع قوة هذا
الهجوم الا أنهم في النهاية لم يحققوا الهدف من الاستيلاء على البصرة
ويرجع ذلك الى ان معز الدولة سبق المهاجمين بارسال وزيره المهلبسى
على راس جيش قوى للسيطرة على البصرة وصد اعتداء الغزاة . وبعد

معركة صغيرة حقق المهلبى انتصارا كبيرا واضطر القرامطة الى التقهقروا الى البحرين .

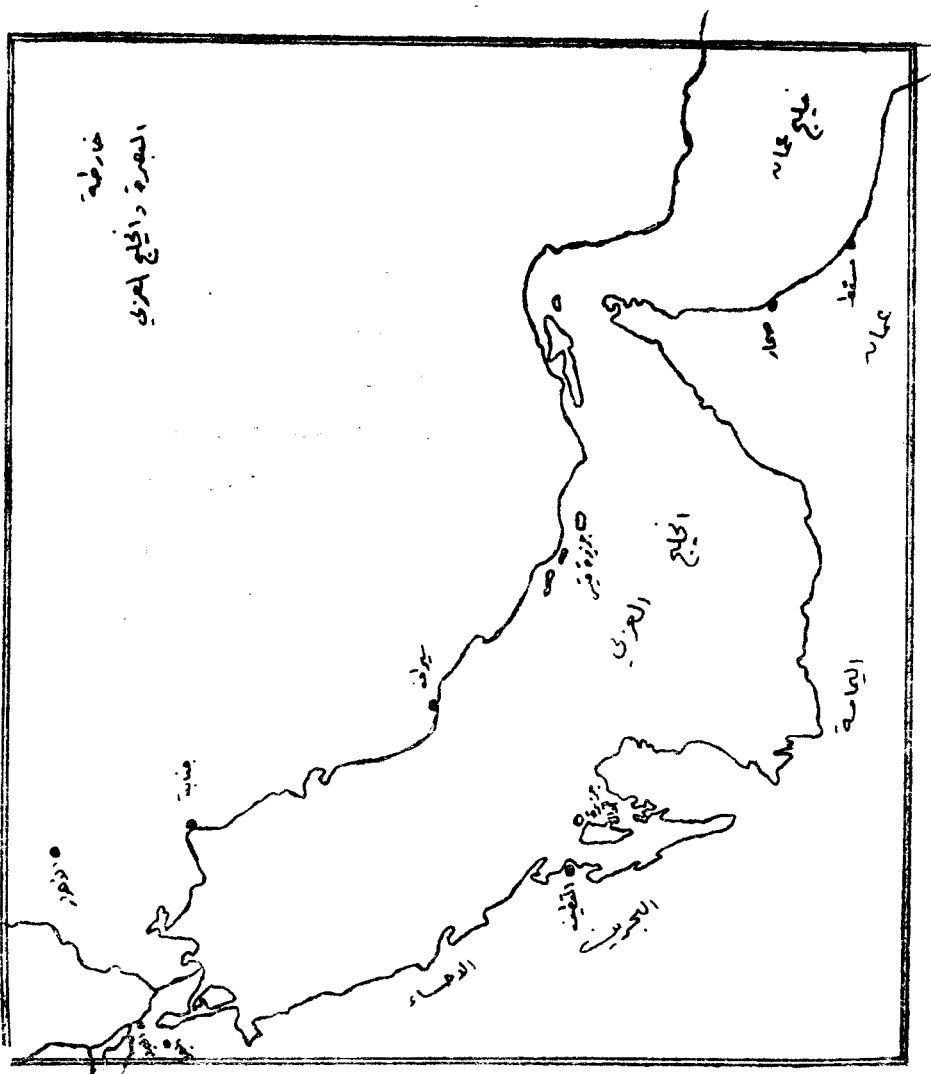
غير أنهم اعدوا الكرة ثانية فى سنة ٢٧٣/٩٨٣ مستغلين الوضع المرتبك الذى كان يواجهه الحكم البويهى فى اعقاب وفاة الامير الذائع الصيت ، عضد الدولة . ولما كانت السلطة المركزية لم تقو على تجهيز جيش قوى وأرساله الى البصرة لاحتياط هجوم القرامطة ، فإنها رأت ان تدخل فى مفاوضات مع القرامطة وان تدفع لهم مبلغا كبيرا^(٤٧) ففى مقابل انسحابهم الى البحرين وعدم تعرضهم للبصرة .

ولم يستمر هذا الاتفاق الا سنوات حينما اعدوا الكرة للمرة الثالثة فى سنة ٣٨٥/٩٩٥ . اذ انه فى هذه السنة خرج القرامطة بجيش قوى من البحرين بهدف دخول البصرة واحتلالها . فكان لوصول أنباء هذا الهجوم المرتقب اسوا الأثر على اهل المدينة الذين اضطروا الى تركها واللجوء الى المناطق الاخرى المجاورة هربا من قسوة القرامطة ، ويروى لنا سبط بن الجوزى^(٤٨) ان السلطة المركزية فى بغداد عندها سمعت بخبر حملة القرامطة اسرعت فى تجهيز الجيوش وارسالها من العاصمة الى ابصرة لابعاد خطر القرامطة . وبالفعل فقد تخلى القرامطة عن خططهم الرامية فى احتلال البصرة ورجعوا الى البحرين .

لا شك ان القارىء لأخبار تلك الهجمات التسمى شنها قرامطة البحرين على البصرة يلمس التفاوت فى ردود فعل الخلافة العباسية بين القوة والفعالية فى ارسال الامدادات والنجدات العسكرية حينما وبين الضعف والركون الى المصالحة والمواذعة مع القرامطة احيانا اخرى . ان النكبات التى سببتها هجمات الظالمين المختلفين (ومن بينهم قرامطة البحرين) على البصرة فى هذه الفترة من العصور العباسية ترجع الى

أسباب وعوامل متعددة تتصل أغلبها بالوضع العام للسلطة المركزية نفسها،
أجد من الضروري ان نأتى على ذكر بعضها لعلاقتها القوية بموضوعنا .
من المعروف ان تاريخ البصرة السياسى لا يمكن تجريده وعزله
عن التاريخ السياسى للعراق ككل وذلك لان البصرة لم تكن مستقلة
فى تنظيماتها السياسية والادارية والاقتصادية عن السلطة المركزية
للعباسيين فى بغداد . ولقد اعتاد الكتاب والمؤرخون المحدثون على اطلاق
لفظة العصور العباسية المتأخرة على الفترة التاريخية المحصورة بين سنة
٢٣٢هـ/٨٤٦ وحتى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨
فالفترة التى ازدادت فيها فعاليات قرامة البحرين
السياسية وهجماتهم على البصرة تقع فى هذه الحالة ضمن الخطوط
العامية للعصور العباسية المتأخرة . تلك العصور التى يمكن تشخيص
اهم السمات التى امتازت به بمايلى :- الضعف العام الذى ظهر على
شخصيات الخلفاء^(٩) بتردهم فى اتخاذ القرارات الحاسمة وبانشغالهم
عن ادارة شؤون الدولة بأمور تافهة وبسيطرة البلاط والحاشية على مقاليد
الحكم . وامتازت هذه الفترة ايضا بقوة نفوذ و سطوة العناصر العسكرية
الاجنبية التى اخذت تدخل الجيش العباسى بشكل كبير منذ خلافة
المعتصم فما بعد من امثال الاتراك والديلمة ، ومرور الزمن اصبح هؤلاء
هم السادة المتفدون والمسيطرون الحقيقيون على الخلفاء وشؤون الدولة
السياسية والادارية والاقتصادية . ولضعف الجهاز الادارى وسيطر
القواد والجنود المتنافسين فيما بينهم كثرت الاضطرابات السياسية
الداخلية وزاد الارتباك المالى على خزينة الخليفة الخاصة من جهة وخزينة
الدولة بصورة عامة التى عجزت عن سد متطلبات الجند . وفراغ الخزينة
والاضطراب المالى جاء بدرجة رئيسة من زيادة الصرف بجميع مناحيه
بالقياس الى قلة الوارد . وعلى اثر هذا برز تحول اقتصادى مهم
هو اتساع مفهوم الاقطاع، اذ اخذت السلطة تمنح الاقطاعات الكبيرة والصغيرة

فى داخل العراق الى كبار القواد والجنود وذلك مقابل رواتبهم التى لم تستطع السلطة تليتها باستمرار . ولذلك زاد تسلط اصحاب الاراضى من عسكريين ونبلاء واصحاب اموال وتجار فى الوقت الذى عاشت فيه الطبقة الفقيرة من فلاحين وعبيد واصحاب المهن الصغيرة ظروفًا اقتصادية قاسية متمثلة بالضرائب المرهقة من جهة والمعاملة القاسية من موظفى الدولة وجباة الضرائب من الجهة الاخرى . والانكى من هذا كله ان هذا التحول الاقتصادى رافقه خراب الاراضى الزراعية ودمارها ، والزراعة كانت العمود الفقرى للحياة الاقتصادية فى العراق . فالعسكريون - كما يروى مسكويه (٥٠) - لا هم لهم من هذه الاقطاعات الا جمع الاموال دون الالتفات والاعتناء بنظام الري واصلاح الاراضى وتحسين الزراعة فما كان الا أن خربت كثير من الاراضى الخصبة وضعت قدراتها الانتاجية وبالتالي اضطر فلاحوها على تركها الى المدن او المراكز الاخرى . اما فى المدينة فان توسع التجارة والصيرفة والصناعة ادى بدوره الى تعقد اجتماعى واضح اذ برزت الفواصل الطبقيّة نتيجة لتركز الاموال والتجارات والعقارات بايدي التجار والاغنياء فى حين اتسعت طبقة الفقراء ، فتتج عن هذا التناثر الاجتماعى تدمير واسع اندلع على شكل ثورات اجتماعية سياسية عنيفة . ان هذه التحولات الاقتصادية لازمتها ، كما بينا تغيرات ادارية مستمرة ، وارتباك سياسى فى داخل العاصمة بغداد من جهة والعراق وبقية اجزاء الامبراطورية العباسية من الجهة الاخرى . وادى هذا الضعف السياسى (٥١) والادارى ثم الازمة المالية العنيفة والدائمة الى تشجيع ظهور اطماع المتنفذين والطامعين والناظرين ، فتقطعت بذلك الدولة العباسية الى اوصال وتكوينات سياسية متعددة استقل بعضها استقلالاً ذاتياً عن جسم الدولة فاستمر رؤوساء هذه الامارات مرتبطين ارتباطاً صورياً بالخليفة العباسى ، فذكروا اسمه من على المنابر ، وضربوا



أُسِمه على النقود^(٥٢) . في الوقت الذي قطع البعض الآخر من هذه التكوينات كل صلة له بالسلطة العباسية ، واطعن رؤسائها استقلاله اماراتهم استقلالاً تاماً^(٥٣) . ان عوامل كهذه ساعدت بطبيعة الحال على اضعاف الرابطة التي كانت قوية في العصور العباسية الاولى بين العاصمة والبصرة . علماً بان السلطة حتى في اشد الفترات قلقت وضعفاً من الناحية السياسية كانت ، حسبما رأينا ، لا تتوانى عن ارسال الامدادات العسكرية من اجل دفع الاخطار والتدخلات التي تتعرض لها البصرة . فكانت تحاول جهد الامكان تجهيز الجيوش القوية لمحاربة القرامطة . غير ان الظروف السياسية القاسية التي كانت تعيشها الدولة المعباسية وقفت في كثير من الاحايين حائلاً قوياً امام اي ردود فعل سريعة وحيوية ضد اعتداء الطامعين .

بقى علينا ان نشير الى نقطة اخيرة تربط بالاغراض الحقيقية الكامنة وراء الهجمات المشار اليها والتي شنها القرامطة على البصرة . وهل كانت تهدف الى مجرد الاغارة والنهب واثارة الفزع والمرعب في قلوب اهل المدينة ، ام انها كانت تسير وفق خطة محكمة هدفها النيل من السلطة العباسية في بغداد واشغالها باعتبارها العدو اللدود للقرامطة من جهة والحركة الاسماعيلية من جهة اخرى ، ام انها كانت لتحقيق مآرب وغايات اخرى ؟ وعلى الرغم من صعوبة ترجيح احد هذه الاحتمالات على الاخر او تحديد الاجابة الدقيقة والمباشرة عن هذه التساؤلات فأنتنا سنحاول التحدث عن ذلك في شقين : - اولهما الاشارة الى ان قرامطة البحرين لم يقصروا فعاليتهم في اظهار اطماعهم فسي السيطرة على البصرة وضمها الى مناطق نفوذهم على الجانب العسكري فقط بل ان هذه الاطماع توضحت الينا في عدد من المناسبات السلمية منها

مثلا ماحدث فى سنة ٣١٢/٩٢٤ . ففى هذه السنة ارسل ابو سعيد الجنبى - مؤسس دولة قرامطة البحرين - رسولا الى الخليفة العباسى المقتدر (حكم من ٢٩٥ حتى ٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م) عارضا عليه شروطه فى سبيل التوصل الى صلح . ومن بين هذه الشروط تعهده باطلاق سراح الاسرى الذين سبق له ان اسرهم فى حروبه ضد السلطة المركزية وان هذا لا يتم الا مقابل اعطائه حق السيطرة على كل من البصرة والاهواز^(٥٢).

اما الحادثة الثانية والتي تشير الى نفس الغرض وقعت فى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣ وكان ابو طاهر ابن ابى سعيد الجنبى زعيما للقرامطة انذاك . فبناء على الرواية التى اوردها ابن الاثير^(٥٣) ان ابا طاهر دخل فى مفاوضات مع الخليفة العباسى طالبا منه ايضا التوصل الى عقد صلح بين الطرفين ، بموجبه يتعهد ابو طاهر بتامين سلامة وصول الحجاج الى مكة لاداء فريضة الحج ورجوعهم وعدم التعرض لهم ، كما انه اعطى وعدا بانه [اى ابو طاهر] سوف يعلن تبعيته للسلطة العباسية وذلك بذكر اسم الخليفة فى الخطبة من على المنابر فى هجره . وفى مقابل كل هذه التنازلات فان ابا طاهر طلب من الخليفة ان يسمح له فى السيطرة على واردات البصرة .

هاتان الروايتان تعكسان اهمية واضحة وتشيران الى الاهداف الرئيسة التى دفعت قرامطة البحرين ان يركزوا على الجانب العسكرى فى محاولاتهم لوضع ايديهم على البصرة ، لاسيما وان مطالبهم السلمية لم تلق اذانا صاغية عند الخليفة العباسى . ان تلك الاغراض كانت اقتصادية دون شك . فمما تجدر الاشارة اليه فى هذا المجال ان البصرة

والاحواز كاتنا من المراكز المهمة والحيوية جدا للحياة الاقتصادية للدولة العباسية ، اذ انهما بالاضافة الى حاصلاتهما التي تمون اسواق بغداد ، فانهما كاتنا تحتكران مكانا جغرافيا وبالتالي اقتصاديا ممتازا . فالبصرة مثلا لم تعد كما كانت عند بدء تاسيسها ذلك المعسكر القبلي البسيط بل قفزت سريعا نحو الاستقرار والازدهار ، فأصبحت ميناء العراق الوحيد الذى تاتى عن طريقه التجارات فى البحر من الهند والصين وسواحل افريقيا ، وكانت السوق الرئيس الذى تتجمع فيه البضائع والمنتجات الزراعية والصناعية الاتيه برا من بلاد فارس او من اجزاء مختلفة من الجزيرة العربية^(٥٦) . ولتأكيد ماسبق ان قدمناه على اهمية البصرة والاهواز بالنسبة للخلافة العباسية لابد من الاستشهاد بما قاله مرة الوزير ابن مقلة للخليفة الراضى بالله [حكم من سنة ٣٢٢هـ - ٣٢٩هـ / ٩٣٣-٩٤٠] عندما قطع القائد التركى ابن رائق - صاحب البصرة - اموال هذه المنطقة من ان ترسل الى عاصمة الخلافة . قال الوزير «قد انغلقت عليك هذه البلدان ، وهى بلدان المال بما فعله محمد بن رائق من الامتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره ان ذلك قد تم له واحتمل عليه تأسى به فذهب مال الاهواز فبطلت المملكة^(٥٧)» . ولذلك فان استيلاء القرامطة على البصرة بصورة دائمية او مؤقتة تغنى فى حقيقة الامر تجريد الخليفة العباسى من مورد اقتصادى لايمكن الاستغناء عنه . ولهذا ايضا نجد الخليفة العباسى يرفض تلبية مطالب القرامطة فى كلتا الحادتين السابقتين .

ولا ادل على مكانة البصرة واهميتها الاقتصادية بالنسبة الى قرامطة البحرين من ان هؤلاء كان لديهم ديوان^(٥٨) على ابواب البصرة المطلية على البادية ، وكانوا ياخذون المكوس والضرائب من الحجاج^(٥٩) والتجار

على السواء الخارجين من البصرة • حتى أنه فى سنة ٣٥٩/٩٦٩ فى الوقت الذى بلغت سطوة قرامطة البحرين السياسية مكانة عظيمة فرضوا حصارا عاما على البصرة ، واصلوا بانهم سوف لن يسمحوا بمرور اية قافلة خارجة من البصرة والكوفة من خلال بادية البصرة (٦٠) الى مكة • وبديهي ان ذلك يعنى ان اية مخالفة لاعلانهم هذا ستؤدى الى تعرضهم لقوافل الحجاج والمسافرين ونهبها • ولعل ذلك جاء على اثر امتناع الحجاج الذاهبين الى مكة عن دفع الخفارة او الضرائب الاخرى التى اعتادوا على دفعها الى القرامطة

اما الامر الاخر الذى يمكننا سوقه فى هذا الصدد فهو ان المخطط العام لقرامطة البحرين لم يكن مقصورا على مدينة البصرة فحسب وإنما على اغلب المناطق والمراكز التى تمتعت بسمعة تجارية مهمة وبصورة خاصة تلك التى تقع على ساحل الخليج العربى • فالقرامطة منذ بداية تأسيس دولتهم فى البحرين نجحوا ، كما اسلفنا ، فى السيطرة على جزيرة أوال - تلك المحطة التجارية المهمة الواقعة فى طريق السفن التى اعتادت ان تمرخ الخليج العربى - وقد كانت تابعة فى تلك الفترة الى الاحساء • وكان للقرامطة فى هذه الجزيرة ديوان ايضا تفرض فيه المكوس والضرائب على السفن التجارية المتجهة صوب شط العرب الى البصرة • وتحتل هذه الجزيرة موقعا حيويا اذ انها كانت تسيطر على النقل البحرى عبر الخليج العربى وباتجاه العراق • ويشير الجغرافى المشهور ابن حوقل الى ان الضرائب المفروضة على التجارات المارة بهذه الجزيرة كانت عالية جداً (٦١)

وفى الوقت ذاته فإن قرامطة البحرين أفلحوا فى الاستيلاء على عمان فى عدد من المحاولات ، مع العلم بأن سيطرتهم عليها امتدت لآمد قصير و عمان اشهر من ان تعرف من حيث تمتعها بموقع تجارى ممتاز على الخليج

العربي (٦٢) •

والى جانب عمان فان سيراف ، الميناء التجارى (٦٣) الذائع الصيت خضع للقرامطة ايضا • يروى ابن الجوزى انه فى سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥ دخل الوزير الورع على بن عيسى فى مراسلات مع القرامطة (وهادهم واطلق لهم التسويق بسيراف (٦٤)) • وصف الجغرافى الاصطخرى سيراف بأنها تلك الفرصة التى تمر بها (٦٥) صلدرات فارس فوارداتها • وهى تقع على الجانب الشرقى من الخليج العربى • ولقد قدرت المكوس التى تؤخذ من السفن المارة بها فى اواخر القرن الثالث للهجرة بحوالى مائتين وثلاثة (٦٦) وخمسين ألف دينار فى كل سنة • وكانت لسيراف علاقات تجارية قوية مع البصرة •

واخيرا فانه يجب ان لا يغرب عن بالنا الدور المهم الذى قام به الدعاة الاسماعيليون فى التبشير بمبادئهم فى مثل هذه المراكز التجارية وغيرها امثال اليمن والهند (٦٧) • اذ كان اغلب هؤلاء الدعاة يتزبون بزى التجار •

من كل ما مر بنا اريد ان اخلص الى القول بان هجمات قرامطة البحرين على البصرة لم تكن مدفوعة لاغراض السلب والنهب بل بالدرجة الاولى والرئيسة كانت محاولات هدفها السيطرة على البصرة وضمها الى املاكهم لما كانت تتمتع به هذه المدينة ومنطقتها من مزايا اقتصادية وتجارية ملحوظة • ومما لاشك فيه ان هذه الهجمات هى فى الوقت ذاته ضربة سياسية وعسكرية موجهة ضد سلطه العباسيين فى بغداد •

الهوامش

(١) الدكتور صالح أحمد العلي : التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول للهجرة (ط ١ بغداد ١٩٥٣) ص ٦

(٢) البراقبي : تاريخ الكوفة [ط ٢ النجف ١٣٥٦ هـ] من ص ٢٥٠-٣٥٠

(٣) من الملاحظ أن موضوع أحوال العصرة السياسية خلال الفترات الإسلامية المختلفة لم ينل اهتمام الباحثين ، وأن أغلب الدراسات التي ظهرت عن هذه المدينة تناولت الجانب الأدبي بصورة خاصة ومع هذا فأن للدكتور صالح العلي السبق في التعمق بدراسه أوضاع البصرة الاجتماعية والاقتصادية خلال القرن الأول للهجرة في كتابه الذي أشرنا إليه أعلاه ، وقد طبع طبعين الأولى في ١٩٥٣ والثانية في ١٩٧٠ . كما أن الكتاب الذي ألفه الاستاذ شارل بلا الموسوم بـ

Le Milien Basrien et la formation de Gahiz: Paris 1953

يعد كتابا هاما عن دراسة احوال البصرة الجغرافية خلال الفترة التي سبقت الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وإخلال فتراته أيضا . والكتاب ترجم الى اللغة العربية ترجمه جيدة من قبل الدكتور إبراهيم الكيلاني في دمشق ١٩٦١ . على الرغم من وجود عدد قليل من الهفوات أخص بالذكر منها تلك الاشارة المتعلقة بعدد اليهود في البصرة . كما أن هناك كتابا آخر يتصل بالحياة الادبية في البصرة من تأليف د . أحمد كمال زكي الموسوم [الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني للهجرة] دمشق ١٩٦١ . ومن الممكن اضافة اضافة أطروحتي التي حصلت بها على درجة الدكتوراه من جامعه لندن الى هذه القائمة ، وموضوعها يتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبصرة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٩٧٠) . وفي الوقت ذاته فأن هناك عددا من المقالات الجيدة عن البصرة وطبوغرافيتها الأولى للدكتور صالح أحمد العلي [خطط البصرة] مجلة سومر (١٩٥٢) ص ٧٢-٨٣ ، ٢٨١-٣٠٣

والثانية للاستاذ ماسنيون Massignon
"Explication du plan de Basra" in the Wostostliche
Abhandlungen R. Tshudi, (1954) 154-74,
ومقالة الاستاذ شارال بلا . Basra. في دائرة المعارف الاسلامية
(ط . جديدة) .

(٤) انظر عن ثورة ابن الجارود الطبرى : تاريخ الرسل والملوك [ط . حار
المعارف ١٩٦٤] ج ٦ ص ٢١٠ - ٢١١

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ٣١٤ . كذلك
Noldeke: Sketches from Eastern History, Translated by Black
(1892) p. 15,

(٦) ابن الاثير : المصدر السابق ص ٣١٥ . ابن خلدون - العبر ج ٣
ص ٩٨ وأنظر أيضا اطروحة الدكتور عبد الامير دكسن (جامعة لندن)
The Umayyad Caliphate 65-86 A.H.
(A political Study), 1969, pp. 259-263

(٧) ابن الاثير ج ٤ ص ٣١٥ .

(٨) الطبري : تاريخ [تحقيق هوتسما ١٨٩٣] ج ٢ ص ٢٦٠ ، الدينورى
الاخبار الطوال (مصر) ص ٢٦٥ . الطبرى ج ٥ ص ٥٦٦-٦٧ ، ٦١٣

(٩) الطبرى ج ٧ ص ٦٢٢-٦٤٨ . كذلك أنظر
Dr Farouk Omar: The Abbasid Caliphate 132-70,
(Baghdad 1969) pp. 240-245,

(١٠) يعتبر تاريخ الرسل والملوك للطبرى المرجع الاساس عن موضوع ثورة
الزنج ، فهو يتطرق بالتفصيل فى الجزء التاسع من الطبعة التى
اعتمدها على تحركاتهم ونشاطاتهم السياسية . هناك أيضا عدد

من البحوث المثبتة عن هذا الموضوع يقف على رأسها كتاب الدكتور فيصل السامر (ثورة الزنج) ط ٢ ١٩٧١ . ثم ما كتبه الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) بغداد ١٩٤٥ . من صفحة ٧٥ من ١٠٦ . وكتاب (ثورة الزنج وقتلها على بن محمد) للاستاذ أحمد عيسى (بيروت ١٩٦١) . وأخيرا أطروحة المستشرق الكسندر بوبوفيتش .

“Ali ibn Muhammad et la revolte des esclaves a Basra”
Paris 1965,

(١١) أنظر ج ٩ صفحات ٤١٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ - ٤٣٧ ، ٤٨١ - ٤٨٤ .

(١٢) البريديون ثلاثة اخوان اسسوا أمارة واسعة شملت الاحواز والبصرة والبطائح وقد أمتدت من سنة ٣٢٤ حتى ٣٣٦ هـ . هناك بحث مفصل باللغة الانكليزية عن البريديين والبصرة في أطروحة كاتب المقال المشار اليها افقا .

(١٣) منذ سنة ٣٣٨ هـ تقريبا أسس عمران بن شاهين إمارة في البطائح (الاهواز) . ولقد شكل عمران خطرا كبيرا على سير السفن التجارية العائدة لسلطة بغداد والمارة عبر البطائح من البصرة الى بغداد وبالعكس . أنظر سكويه : تجارب الامم ج ٢ ص ١٢٠ ، ١٢٩ - ١٣٠ . ابن الاثير ج ٨ ص ١٧٣ ، ١٧٦ - ١٧٧ . كذلك

Kabir, M : The Buwayhid Dynasty of Baghdad,
(Calcutta 1964) p, 10-11,

(١٤) أنظر عن التسمية واختلاف الاراء فيها ، الطبري ج ١٠ ص ٢٤ .
أبن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم (ط . حيدر اباد ١٣٥٧ هـ)
ج ٥ ص ١١ . القرطبي - أتعاط الحنفيا بذاكر الائمة الفاطميين
الخلفا (نشر الدكتور جمال الدين الشبناي . القاهرة ١٩٤٨) ص ١٣٠ .
وكذلك أنظر ما كتبه المستشرق دي غويه في كتابه

Memoire sur les Camathes du Bahrain et les
Fatimides, p, 191-200;

(١٥) المغريزي - أتعاط ص ١١٠

(١٦) جاءت رواية الصولي هذه في كتاب دوال الاسلام للذهبي [ط. حيدر
أبساد ١٣٦٤ - ٦٥] ج ١ ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(١٧) أنظر الطبري ج ٩ ص ٤١٠ . ألفندي : مخطوط الوافسي
بالوفيات (أستنبول ، مكتبة توب كوي سراي رقم ١ ح / A: 2920/21
مجلد ٢٠ ورقة ١٦٩ ب .

De goeje :

(١٨)

1) Memoire sur les, Carmathes du Bahrain et les
Fatimides, Leyden 1886

ويعد من الكتب القديمة الجيدة عن الموضوع وفيه ملاحظات ذكية
عن علاقة هجمات القرامطة على البصرة والتقدم الفاطميين في شمال
افريقية

2) La fin de L'Empire du Carmathes du Bahrain" in
Jowrnal Asiatique (1895) pp, 1-30,

(١٩) يعتبر أيفانوف ، المستشرق الروسي ، من أبرز المتخصصين في
موضوع الاسماعيلية فهو بالإضافة إلى كتابته اعدد من المقالات
القيمة قام بتحقيق عدد من كتبهم . ومن مقالاته المهمة والمتعلقة
بموضوع بحثنا "Ismailis and Qarmatians" نشرها في مجلة
Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic
Society (xvi, 1940) pp, 43-85;

(٢٠) وبصولة خاصة كتابة القيم الموسوم
The Origins of Isma'ilism (Cambridge 1940)

وقد ترجم إلى اللغة العربية .

وله مقالة جيدة هي : -

"Government, society and economic life under the
Abbasid and Fatimid" in the Cambridge Medieval History"
2nd ed (iv, 1966) p, 648;

(٢١) بندل جوزى : من قامخ الحركات الفكرية فى الاسلام
(بيروت) الفصل الخاص بالقرامطة من صفحة ١٥٩ الى ٢١٧ .

W, Madelung : "Fatimiden und Bahrainqarmate " (٢٢)
in Der Islam (مجلد ٣٤ ، ١٩٥٨) pp, 34—88

stern: "Isma'ilis and Qarmatians" in (٢٣)

L'elaboration de l'Islam (1961) pp, 99-108

(٢٤) الدكتور عبدالعزيز النورى : دراسات فى العصور المعباسية المتأخرة
(١٩٤٥) يحتوى على فصل ممتاز عن الاسماء عيلية والقرامطة من
صفحة ١٢٦ الى ١٨٦ .

وهناك مقالة للاستاذ Canard عن الجنابى al-Jannabi
فى دائرة المعارف الاسلاية (ط . جديدة) . كما وان هناك
كتابا من قرامطة العراق تأليف محمد عبدالفتاح عليان
(القاهرة ١٩٧٠) وهو من الكتب الجيدة .

(٢٥) ابن النديم : فهرست « ليبزج ١٨٧١-٧٢ » ج ١ ص ١٥٠-١٥١
وانظر أيضا سبط بن الجوزى «مخطوط فى المتحف البريطانى
رقم Or, 4619 ورقة ١٣٩ (ب) . ياقوت . معجم الادباء
«باعتناء مرغليوث» ج ٧ ص ١٣٧ .

(٢٦) مروج الذهب ومعاون الجوهر « ٤ أجزاء » (القاهرة ١٩٣٨) . التنبيه
والاشراف (تحقيق دى غوييه ، ليدن ١٨٩٣)

(٢٧) كان البروفيسور برنارد لويس يمتلك نسخة فريدة وقد اعتمدت
عليها فى ذكر بعض الاشارات عن هجمات القرامطة على البصرة .
والمخطوط حققه الدكتور سهيل زكار فى سنة ١٩٧٠ .

(٢٨) تجالب الامم «باعتته امدروز ، القاهرة ١٩١٤» .

(٢٩) مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، ولقد نشر هذا الكتاب فى حيدرآباد خلال سنتى ١٩٥١-١٩٥٢ . غير أن هذه النسخة لم تكن جيدة وناقصة ، وهناك مخطوطتان مازالتا - فيما عدا جزء واحد متعلق بالسلاجقة حققه أستاذ فى تركيا - غير محققين أجداهما فى أسطنبول ، مكتبة أحمد الثالث تحت رقم No, 2907c وتحتوى على معلومات ثمينة ومفصلة عن تاريخ العراق لم ترد فى الطبعة المنشورة . كما أن هناك نسخة أخرى فى المتحف البريطانى تختلف عن نسخة أسطنبول من حيث التفصيلات وهى تحت رقم Arab, No, 1506; Paris
توجد نسخة ثالثة فى باريس فى Bibliotheque National وصورة من هذه النسخة موجودة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٥١ تاريخ

(٣٠) عريب بن سعد الكاتب القرطبي : صلة تاريخ الطبرى «تحقيق دى غويه ، ليدن ١٨٩٧» ص ١١٠-١١١ .

(٣١) تاريخ الاسلام للذهبي مازال مخطوطا موجودا فى مكتبة المتحف البريطانى ، ويحوى معلومات تاريخية وتراجم أشخاص غير موجودة فى كتبه المنشورة المتعددة . ورقم المخطوط . Or, 48, 48;49-52
كذلك توجد نسخة من هذا التاريخ فى مكتبة بودليان فى أكسفورد تحت رقم Nos, Land , Or; 279 ; 305

(٣٢) اليمامة :- مدح ياقوت الحموى اليمامة بقوله أنها كانت احسن بلاد الله ارضا وأكثرها خيرا وشجرا ونخيلا . وتبعد حوالى ١٦ مرحلة عن البصرة ولها واد يسمى وادى الخرج فيه عدة قرى .
أنظر ياقوت : معجم البلدان «٦ أجزاء» قس فستغلند، ليبزج» ج ٤ ص ١٠٢٨ ، أبو الفداء : تقويم البلدان «باريس ١٨٤٠» ص ٩٦-٩٧

(٣٣) قطيف : مدينة بالبحرين كانت خلال فترة ياقوت الحموى قصبة البحرين . وتقع على شاطئ الخليج العربى ، فيها نخيل كثير اقل من نخيل الاحساء ، وللمدينة ايضا خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار فى حالة اللد والجزر . أنظر ياقوت : البلدان ج ٤ ص ١٤٣ ، أبو الفداء : تقويم ص ٩٨-٩٩ ، مرصد للاطلاع «القاهرة ١٩٥٤» ج ٣ ص ١١١٠

(٣٤) هجر مدينة في البحرين ، وصفها ياقوت على أنها قلعة البحرين .
ياقوت البلدان ج ٤ ص ٩٥٣ ، مرصد الأطلاع ج ٣ ص ١٤٥٢ .

(٣٥) أوائل : جزيرة كانت تقع بالقرب من القطيف ، ويحيط بها البحر
بناحية البحرين . تبعد يوم واحد عن القطيف ، وبها مغاص مفصل
على غيره . يقول أبو الفداء أنها تحوى على ٣٠٠ ضيعة وفيها كروم
كثيرة ونخيل وأترج . ياقوت ج ١ ص ٣٩٥ ، أبو الفداء : تقويم
ص ٣٧١-٣٧٠ .

(٣٦) طبرى ج ١٠ ص ٧١ ، ثابت بن سنان ورقة ١٠-١١ . المقرئى :
اتعاظ الحنفا ص ١١٠

(٣٧) طبرى ج ١٠ ص ٧١ ، ثابت بن سنان ورقة ١٠-١١

(٣٨) طبرى ج ١٠ ص ٧٨ ، ثابت بن سنان ورقة ١٠-١١

(٣٩) طبرى ج ١٠ ص ٨٥

(٤٠) مسكويه ج ١ ص ٣٣-٣٤ ، ابن الأثير : الكامل والقاهرة ١٢٩٠ هـ .
ج ٨ ص ٥٠ .

(٤١) عريب القرطبي ص ٣٨ .

(٤٢) ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ ص ١٥٣ ، سبط بن الجوزى «مخطوط
المتحف البريطني» ورقة ٦٩ أ . يذكر ابن كثير الحادثة فسى
حوادث سنة ٣٠٦ هـ . أنظر البداية والنهاية (القاهرة ١٩٣٢)
ج ١١ ص ١٣٠ .

(٤٣) عن الحادثة انظر حمزة الأصفهاني : تاريخ سنى ملوك الأرض
والانبياء «ط . ليبزج ١٨٤٤» ص ١٣٠ ، ثابت بن سنان ، ورقة
٣٠ ، مسكويه ج ١ ص ١٠٦-١٠٥ ، المسعودى : التنبيه والإشراف
ص ٣٨٠ ، ابن الجوزى : المنتظم ج ٦ ص ١٧٣-١٧٤ . ابن الأثير
ج ٨ ص ٤٩ ، المقرئى : اتعاظ ص ١٢٤-١٢٥ «والمقرئى ذكر
خطأ أن الهجوم وقع سنة ٣١٠ هـ ،

(٤٤) ثابت بن سنان ورقة ٣٠

(٤٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٣٨٠
(٤٦) مسكويه ج ٢ ص ١٤٣ ، ابن الاثير ج ٨ ص ١٧٩ ، وانظر
ابا الفداء : المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٠٥ . يضع كل
من ابن الجوزي «ج ٦ ص ٣٦٨-٣٦٩» واسبطه « مخطوط مرآة
الزمان في أسطنبول مجلد ٩ ورقة ٣٢ ب» الحادثة في سنه
٣٤٠هـ/٩٥١ .

(٤٧) انظر المنتظم ج ٨ ص ١٢١-١٢٢ ، البداية والنهاية - ج ١١ ص ٣٠٢

(٤٨) مرآة الزمان «مخطوط المتحف البريطاني» ورقة ١٨٧ ب

(٤٩) أنظر عن الموضوع الدكتور عبد العزيز النوري - دراسات في
العصور العباسية المتأخرة من صفحة ٣٤ إلى ٧٣ ، وكذلك
١٨٧-٢٣٦ . ثم جاء في تاريخ العراق الاقتصادي في القرن
الرابع للهجرة «بغداد ١٩٤٨» صفحة ٢٧ إلى ٤٨ . وانظر مقالة
البروفسور برنالد لويس Abbasids في دائرة المعارف الإسلامية
«طبعة جديدة» ، والمقالة التي أشرت إليها آنفا .
Government, society and economic Life under the Abbard, pp;
646-48,

(٥٠) مسكويه : ج ٢ ص ٩٦-١٠٠

(٥١) مما لاشك فيه أن ما كتبه الأستاذ بوين يعتبر لحد الان مصدرا
جهدا ، أنظر :

Rowen, H, The Life and times of Ali b; Isa; the good
Vizier, (Cambridge 1928) p, 105;113;200

وكذلك مقالة البروفسور لويس المسابقة
Government; society; p; 464,

ومقالة الأستاذ لاجبتون

"Reflection on IQta," in Arabic and Islamic Studies (1965)
p, 365,

ومقالة الاستاذ كامين Djaysh في دائرة المعارف الاسلامية
«طبعة جديدة» .

(٥٢) كالأهارة الطولونية ، والاششيدية في مصر ، والاغالبة في شمل
افريقيا ثم الهارة الطاهرين والسامانين والفزنوين . . السخ
في لشرق . .

(٥٣) كالخلفة الفاطمية وعاصمتها القاهرة ، وخلفة الادالسة في
مراكش ، والخلفة الاموية في الاندلس ، وقراطه البحرين . .
(٥٤) ثابت بن سنان ورقة ٣٨ ، مسكوبة ج ١ ص ١٣٩

(٥٥) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٠٢ .

(٥٦) للكاتب مقالة معدة للطبع تتعلق بحالة الطرق التجالية
البرية والبحرية والنهرية الفارة بالبصرة والتي تربطها وبقيه المراكز
خلال العصر الاسلامي الوسيط .

(٥٧) أنظر مسكويه : تجارب ج ١ ص ٣٣٥

(٥٨) الديوان كلمة فارسية معربة ، وتعنى السجل الذي تكتب فيه أسماء
المحاربين وأهل العطاء ولسان العرب مادة دون، وقد تكرر استعماله
عند الجغرافيين المسلمين كابن حوقل والمقدسي من باب المجاز للدلالة
على المكان أو الدائرة التي تفرض فيها الضرائب والمكوس على المارين
من التجار . انظر مادة Diwan في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة
جديدة) .

(٥٩) ابن حوقل : صورة الارض «تحقيق كريموز ، لندن ١٩٣٨ - ٣٩ ، .
مجلد ١ ص ٢٥ ، ٢٧ . وكتابه الاخر المسالك والممالك «تحقيق دي
غويه ، لندن ١٨٧٢» ص ٢١ .

(٦٠) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ ص ٥١ ، سبط ابن الجوزي ومنظرطس
الشحف البريطاني ، ورقة (ب)

(٦١) المسالك والممالك ص ٢١ . أيضا
Miles, The countries and tribes of the Persan gulf,
(2 vols, London 1919) Vol, Ip; 127

(٦٢) انظر ابن حوقل : المسالك ص ٣٨ ، المقدسي - احسن التقاسم في
معرفة الاقاليم (لیدن ١٨٧٧) ص ٩٢ . ياقوت : البلدان ج ٢ ص
٧١٧ . أبو الفداء : توفيم ص ٩٩ . ومقالة Oman بدائرة المعارف
الاسلامية (ط ٠ اولى) ايضا
Hasan, H: A Hitory of Persian Navigation (London 1928)
p, 108,
Wilsn : The Persian Gulf (2nd ed; London 1954) p, 86-90;

(٦٣) انظر عن سيراف الاصطخرى : مسالك المالك «تحقيق دى غويه-ليدن
١٩٢٧ء ص ٣٤ ، ١٥٤ . رحلة السيرافي (١٩٦١ ص ١١ ، ٣٤ .
ابن البلخي : فارسنامه (تحقيق Le Shange) ص ١٣٦ - ١٣٧ .
لسترنج : بندان الخلافة الشرقية (ترجمه بشير فرنسيس وكوركيس
عواد ، بغداد ١٩٥٤) ص ٢٩٤ - ٢٩٥ . جورج فضل حوراني :
العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة والواائل
القرن الوسطى (ترجمة د . يعقوب بكر) ص ٢٠٧ . وهناك ايضا
مقالة جيدة باللغة الفرنسية كتبها جين أوبين Aubin
“La ruine de Siraf etles routes du gulf Persiqueue aux
xlet xll siecle” in Cahieess des civilisation Medieval (1959)
pp, 295—301,

(٦٤) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٦ ص ١٣١ . وانظر سبط ابن
الجوزى (مخطوط المتحف البريطاني) ورقة ٣٣ «ا»

(٦٥) مسالك ص ٣٤

(٦٦) قلا عن ادم متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى
(جزءان) ، ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٧ ،
ج ٢ ص ٤٣٢

(٦٧) هناك عدد من البحوث القيمة عن موضوع الدعوة الاسماعيلية فى
هذه الاماكن ألخص بالذكر منها : -

- 1- Abbas al-Hamdani: **The beginnings of the Isma'ili da'wa in North India** , Cairo, 19 56;p;1
- 2- Stern: "Isma'ili propaganda and Fatimid rule Sind"
in Islamic Culture 1949, p; 298-307
- 3- Lewis B, "The Fatmid and the route to India" in
Revue de la Faculty des sciences economiques of
Univ, of Istanbul (1949-50) pp, 50-54;